الفصل الثالث

الملك عبدالعزيز يفتح الحجاز

بعد أن تمكن الملك عبدالعزيز من فتح حائل في أواخر شهر صفر ١٣٤٠هـ، وإنهاء سيطرته على عسير في أواخر ١٣٤١هـ، أصبح يُحكم سيطرته على شمال الجزيرة وجنوبها الغربي بما في ذلك الأراضي التي تحت نفوذ الإدريسي الذي لم يبق لحاكمها إلا النفوذ الاسمي عليها فقط، وخاصة منذ وفاة مؤسس الإمارة محمد بن علي الإدريسي في شهر شعبان ١٣٤١هـ. ولم يكن هناك من أخطار حقيقية تهدد نفوذ الملك عبدالعزيز إذا ما عزم على تتويج فتوحاته بضم الحجاز الذي لم يعد قادرا على الصمود بعد أن فقد الشريف الحسين معظم أنصاره من القبائل، واستبعاد التدخل البريطاني للدفاع عنه، أي لن تكرر بريطانيا موقفها بعد حادثة تربة، حيث أصبح التفكير في الوقوف إلى جانبه إضراراً بالمصالح الإستراتيجية البريطانية، واكتفت بضمان حماية عرشي ولديه فيصل في العراق وعبدالله في الأردن، وهما معا غير قادرين على نجدة والدهما، مؤثرين الانصراف إلى ما فيه توطيد مكانتهما أولاً.

أما إمام اليمن فلم تكن طموحاته آنذاك تتجاوز تتطلعه إلى بسط سيطرته على الحديدة وماحولها من الأراضي اليمنية التي احتلتها بريطانيا في الحرب

العالمية الأولى، وسلمتها بعد جلاء العثمانيين إلى السيد الإدريسي نكاية بتحرشات إمام اليمن بمستعمرة عدن أكثر من كونها مكافأة للإدريسي على وقوفه إلى جانب بريطانيا في الحرب، كما تعتقد بعض المصادر. إذن، فإمام اليمن لم يكن القوة التي يخشاها الملك عبدالعزيز، ولعل حكمة الملك عبدالعزيز في الإبقاء على الإمارة الإدريسية، وهو قادر بكل سهولة على ضمها منذ انضمام عسير السراة إلى حكمه، كان لأهداف إستراتيجية، فقد قامت إمارة الإدريسي ذات العلاقات العدائية مع كل من الشريف الحسين في الحجاز وإمام اليمن في صنعاء بدور المنطقة العازلة بين أي تقارب هاشمي في مكة وزيدي في صنعاء وهما أبناء بيت واحد وإن اختلفا مذهبياً، وتباينت آراؤهما السياسية إلا أنهما يتفقان في عدائهما للدعوة السلفية منذ قيامها في دورها الأول. وقد حاولا توقيع اتفاق أو تحالف لم يكتب له النجاح لمواجهة أي خطر يهدد كيانيهما[1]. ولعل المقصود منه الخطر السعودي. إذن، فالظروف المحيطة والدولية مأمونة مخاطرها. أما الظروف الداخلية، فإنها أكثر تهيؤاً فجيش الإخوان الذي يعتبر الحرب فضيلة، ونشر الدعوة فريضة وكسباً. ينتظر إشارة فقط من عبدالعزيز في الإذن لهم بمهاجمة الحجاز، كما يزيد من نقمتهم على حاكمها منعهم من الحج لعدة سنوات على التوالي.

وجه الملك عبدالعزيز الدعوة إلى عقد مؤتمر في عاصمة بلاده، حضره كبار قادته من رجال الإخوان وكبار العلماء والأعيان من أهل نجد وعسير[2]، وترأس

(١) الريحاني، ملوك العرب، جـ١، ص١٩٢ ومابعدها، بيروت، ١٩٢٤م.

(٢) اشترك في هذا اللقاء من أمراء عسير محمد بن دليم، سعيد بن مشيط، عبدالعزيز المتحمي، أحمد بن مفرح ، عبدالله جرمان، فراج بن سعيد العسبلي، شبيلي بن العريف، محمد بن الخالد، سروى بن أحمد الثوعي. انظر: عبدالله بن مسفر، أخبار عسير، ص١٨٣.

اللقاء الإمام عبدالرحمن بن فيصل.

قال الريحاني مسجلاً وقائع هذا اللقاء:»افتتح حضرة الإمام الجلسة قائلاً: قد جاءني كتب عديدة من الإخوان وهم يبغون الحج، وقد أرسلت هذه الكتب في حينها إلى ولدنا عبدالعزيز. وها هو أمامكم فاسألوه عما يبدو لكم (السلطان عبدالعزيز) وصلني كل ماكتبتموه وأحطت علم بكل ما شكوتموه إن لكل شيء نهاية فلا تيأسوا وإن الأمور مرهونة بأوقاتها».

سلطان بن بجاد: «يالامام حنا نبغى الحج، ولانريد أن نصبر أكثر مما صبرنا على ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتنا عليه. ليست مكة ملكاً لأحد أن يمنع المسلمين أو يصد المؤمنين عن أداء فريضة الحج. نريد أن نحج يا عبدالعزيز، فإذا معنا الشريف حسين دخلنا مكة بالقوة، وإذا كنت ترون أن من المصلحة تأجيل الحج في هذا العام فلا بد من غزو الحجاز لنخلص البيت الحرام من أيدي الظالمين المفسدين».

السلطان عبدالعزيز: «إن مسألة الحج من المسائل التي يرجع الفصل فيها إلى علمائنا وهاهم حاضرون فليتكلموا».

الشيخ سعد بن عتيق: «إنا الحج من أركان الإسلام، ومسلمو نجد والحمد لله يستطيعون أن يؤدوا هذا الركن على الوجه الأتم بالرضى أو بالقوة، ولكن من أصول الشريعة النظر إلى المصالح والمفاسد، فالأمر الذي قد يؤدي إلى ضرر أو مفسدة يدفع (يؤجل من أجله الحج)، فهل هناك من مفسدة أو مضرة قد تنتج عن السماح لمسلمي نجد بالذهاب إلى بيت الله؟ ذلك ما نريد أن نقف عليه من الواقفين على السياسية».

ويستمر الريحاني قائلاً: «في الأعوام الخمسة الماضية كان السلطان يجيب عن

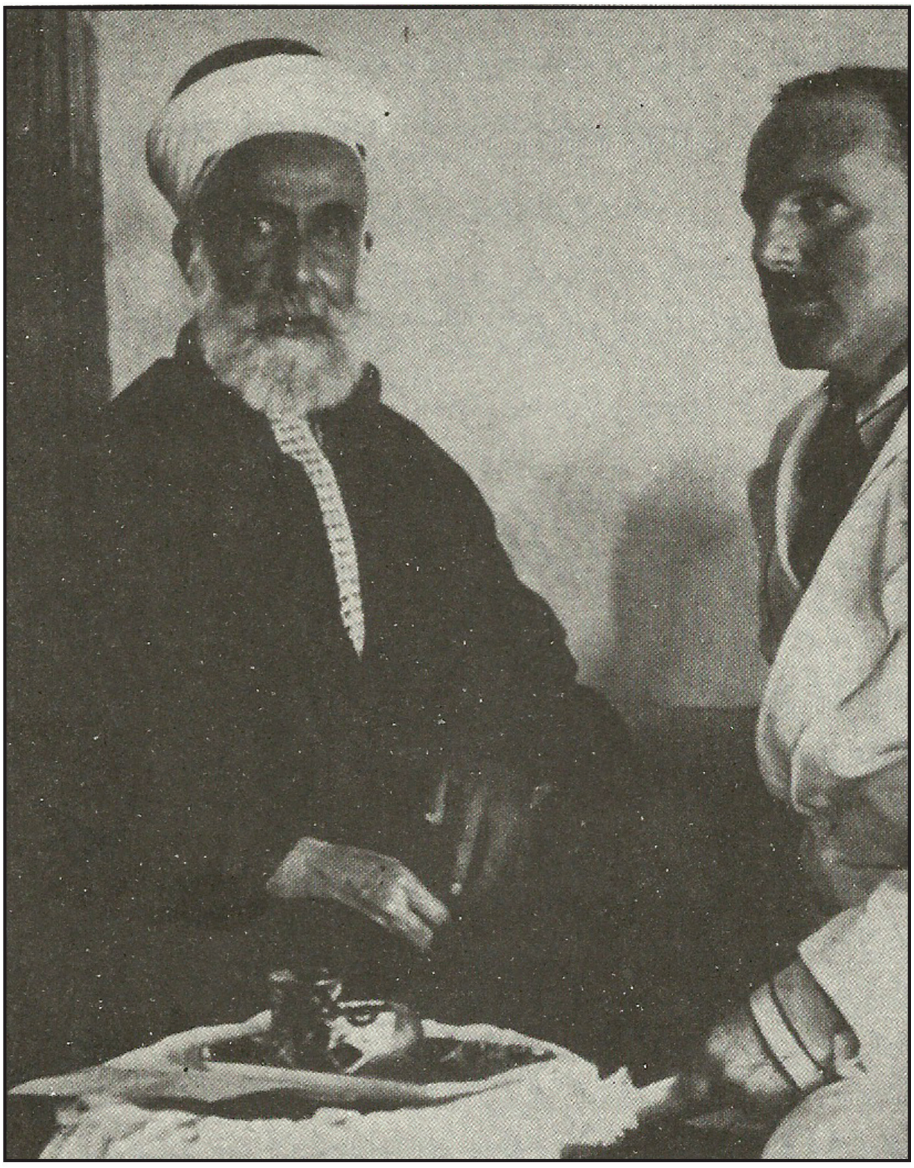

الشريف الحسين بن علي أمير مكة مع السر رونالد ستورز في جدة

هذا السؤال بالإيجاب، فيمنع أهل نجد عن الحج خوفاً أن يحدث ما لا تحمد عقباه. وقد كان يعالج مشكلات نجد والحجاز بالطرق السلمية السياسية. أما في هذا الاجتماع فقد قال عظمته مخاطباً العلماء والإخوان:

«نحن لانود أن نحارب من يسالمنا ولا نمتنع عن موالاة من يوالينا، ولكن شريف مكة كان دائماً، كما تعلمون، يزرع بذور الشقاق بين عشائرنا. وهو الوارث عن أسلافه بغضنا. ومع ذلك، فقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشكلات التي بيننا وبين الحجاز بالتي هي أحسن. وكنت كلما دنوت من الحسين تباعد، وكلما لنت له تجافى. أي ورب الكعبة، لست أرى في تطور الأمور ما ينعش الأمل، بل أرى الأمور تزداد شدة وارتباكاً، ولا يحسن الاستمرار في خطته لاتعزز حقوقنا ومصالحنا».

وقف السلطان عند هذه الكلمة فهتف الجميع: توكلنا على الله! إلى الحجاز! إلى الحجاز![1].

في ٧ من صفر من عام ١٣٤٣هـ/سبتمبر ١٩٢٤م استولى الإخوان بقيادة خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد على الطائف، وولت الجيوش الهاشمية هاربة إلى مكة، وأجبر الحسين على التنازل عن العرش لولده الأمير علي كمحاولة من قبل زعماء الحجاز في إيجاد الظروف المناسبة للحوار بين الحجاز ونجد. بيد أن هذه المبادرة جاءت متأخرة في أوانها، فجيوش الموحدين تتقدم جحافلها نحو العاصمة المقدسة، وتجبر الملك الجديد على نقل عرشه – الذي لم يستقر بعد

(١) أمين الريحاني، نجد وملحقاتها وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز، ونجد وملحقاتها، دار الريحاني في بيروت، الطبعة الرابعة، ص ص ٣٢٦-٣٢٧. ويذكر محمد بن مانع في كتابه: «توحيد الجزيرة العربية»، أن فتح الحجاز كان مبادرة شخصية من قبل سلطان بن بنجاد لم يوافق على المبادرة علنيا، ولكن يحتمل أنه باركها، ص٧١.

ولن يكون له بعد اليوم نصيب في الاستقرار – إلى مدينة جدة، ويدخل الإخوان مكة محرمين للحج، وذلك في يوم ١٧ من ربيع الأول ١٣٤٣هـ[١].

في يوم ١٣ من ربيع الآخر ١٣٤٣هـ/ نوفمبر ١٩٢٤م غادر الملك عبدالعزيز عاصمة بلاده إلى الحجاز قائلاً: «إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم عنها. إني مسافر إلى مهبط الوحي، لبسط أحكام الشريعة، ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع»[٢].

مراسلات الملك عبدالعزيز حول فتح الحجاز

وكان يرافقه عدد من جيوش الإخوان، أهل الهجر ومثلهم من حاضرة نجد أتى على ذكرهم في رسالة بعث بها وهو في الشعراء إلى فيحان بن صامل شيخ رنية،

قال فيها:

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم فيحان بن صامل سلمه الله تعالى آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم لازلتم بحال الخير والعافية أحوالنا بحمد الله جميلة بعد ذلك نعرفكم حالا مثورين من الشعرا متوجين إليكم إنشاء الله نسأل الله التسهيل والذي أخرنا هالأيام

(١) الزركلي، جـ١، ص٣٣٣، الريحاني، ص٣١٥، أحمد السباعي، تاريخ مكة، جـ٢، ط٣، ١٣٨٧هـ، مطبعة دار قريش، ص٢٥٥.

(٢) الزركلي، جـ١، ص٣٣٥.

موحب تنتظر مثوار الإخوان أهل دخنة والشبيكة وهجرها القصيم كذلك مثوار الإخوان أهل الداهنة وأهل نفي وغزو القصيم الحضر والجميع ثوروا أما أهل الداهنة وأهل نفي وغزو القصيم الحضر فهم معنا. وأما أهل دخنة والشبيكة وهجرها القصيم فهم ثوروا كلهم ومواعيدنيهم عشيرة وحنا قدمنا هالخطوط لكم قدامنا وإلا حنا على أثرها إنشاء الله تعالى باقي الأخبار من الرأس عجل إنشاء الله نرجو الله ينصر دينه ويعلي كلمته ويوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه هذا مالزم مع إبلاغ السلام المشائخ وكافة الإخوان ومن عندنا الأولاد يسلمون والسلام»[1].

٢٠ربيع ٢ سنة ١٣٤٣هـ الختم الملكي

وكان دخول جلالته إلى مكة مُحرماً بالعمرة بتاريخ اليوم الثامن من جمادي الأولى ١٣٤٣هـ، فاستقبله أهلها وكبار قادته بحرارة بالغة. وشرع في تأمين الناس ومنع أصحابه من أي تعدٍّ على أهل بيت الله الحرام. أما الشريف أو الملك علي بن الحسين فقد تحصن في جدة وقطع الاتصال بينها وبين مكة فأحرم أهل مكة من نافذتها البحرية، فكان الضرر على أهل مكة كبيرا، فتحول مينائي القنفذة والليث بوابتين بحريتين للحجاز في هذه الظروف الصعبة، وقد سبق الإشارة إلى أن الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة كان على رأس السرايا التي فتحت ميناء القنفذة، وأصبح تحت سيطرة القوات الموالية للملك عبدالعزيز. وقبيل وصول الملك عبدالعزيز كان قد تلقى رسالة من الشيخ عبدالوهاب يخبره فيها بأنه قد رتب

(١) أصل هذه الرسالة لدى فيحان بن صامل أمير تثليث حالياً فقد تفضل مشكوراً بتزويدي بصورة منها.

الشريف الحسين بن علي شريف مكة

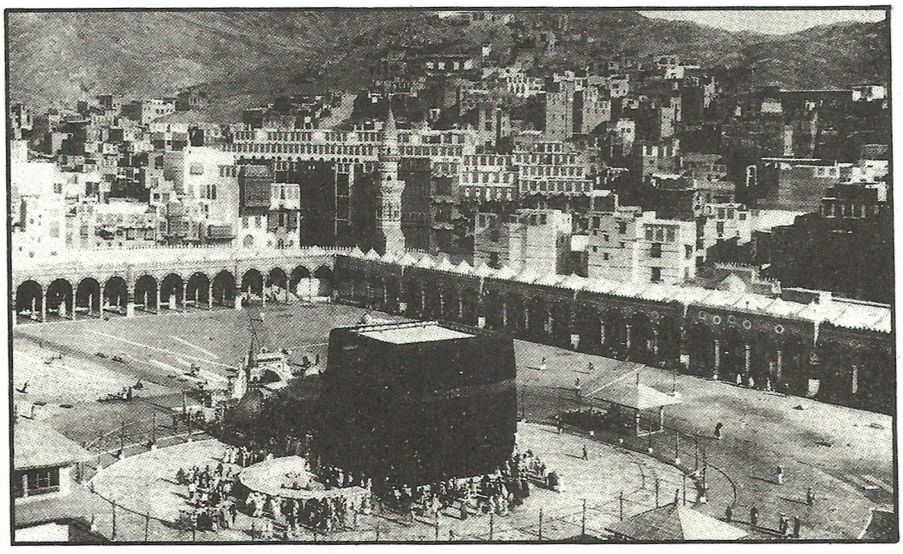

المسجد الحرام في مكة المكرمة

إدارة القنفذة، عين ابن عجاج أميراً عليها وابن ماضي جابيا وقابضا لضرائبها. وقبض من حاكمها السابق الشريف (عبدالله) ابن حمزة كل ما في المدينة من أسلحة وعتاد، فكان لهذا النبأ وقعه الحسن لدى الملك عبدالعزيز وازدياد ثقته في رجله المخلص، والذي سيبدو واضحاً في رسالة الملك رداً على رسالة الشيخ عبدالوهاب بتاريخ ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ، وقبل أن أوردها بنصها أود أن أشير إلى أن جملة الرسائل التي بعث بها جلالته إلى الشيخ عبدالوهاب طوال فترة حصار جدة وحتى استسلامها تُعدُّ سجلاً تاريخياً وافياً لأحداث هذه الفترة؛ لذا فإنني سأقتصر على إيراد نصوص هذه الرسائل لأهميتها القصوى لمؤرخي هذه الفترة، ولن أتعرض لتفاصيل الأحداث أو حتى أي شيء من تحليلها، فقد كفانا مؤونة هذا العمل المؤرخ المشهور والكاتب اللامع الأستاذ أمين الريحاني، والذي يُعد كتابه أوفى ماكتب عن تاريخ هذه الفترة، وهو ممن شاهد الأحداث وشارك في صنعها ومتابعتها ودونها نقلاً عن مصادرها الأصلية[١].

كانت أولى الرسائل التي بعث بها جلالة الملك إلى الشيخ عبدالوهاب أبوملحة من الحجاز هي الرسالة التي أُشير إليها من قبل، وهي تتضمن خبر وصول جلالته إلى الحجاز واستبشار الناس بمقدمه، كما حوت استحسان جلالته للإجراءات التي قام بها عبدالوهاب في القنفذة؛ وأوصاه بالتنبيه على الرجال الذين وُلُّوا إدارتها بالرأفة والرفق بالناس، كما ضمن رسالته خبر محاولة الملك

(١) تجد تفاصيل أحداث الحجاز كما دونها الريحاني في أعماله المطبوعة الأول باللغة العربية بعنوان نجد الحديث. والثاني باللغة الإنجليزية بعنوان Maker of Modern Arabia مرجع سبق الإشارة إليه مراراً. أما تقاريره وهو في جدة عن هذه الأحداث والتي كان يبعثها إلى القنصل الأمريكي في عدن فستجدها ضمن الوثائق التي قام بنشرها إبراهيم الرشيد في مجلدين باللغة الإنجليزية بعنوان Documents on the History of Saudi Arabi وهذه الوثائق تغطي تاريخ المملكة في الفترة من ١٩٠٢-١٩٢٨م.

علي بن الحسين في طلب الصلح، ورفض الملك عبدالعزيز وإصراره على خروجه من جدة، كما ذكر أنه لم يؤجل الهجوم على جدة إلا بسبب طلب تقدم به أهلها، حيث طلبوا مهلة وتعهدوا بإخراج الملك علي، ويضيف الملك عبدالعزيز قوله:»إن لم يفعلوا فالمسلمون أقوياء بالله».

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة - سلمه الله تعالى، وأبقاه - آمين.

بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن أحوالكم لازلتم بخير وسرور أحوالنا من كرم الله جميلة خطك الكريم الذي من القفنذة وصل ما عرفت كان معلوم مخصوصاً ملفاكم إلى القنفذة أنت وابن عجاج وابن ماضي قبضتو من ابن حمزة من السلاح وغيره صار معلوم أن ابن عجاج أمير وابن ماضي قبيض فيكم إنشاء الله جميعاً البركة لابد أنك حرصتهم على ضبط شغلهم وداخلهم ورسومهم موجب معلومكم المال راجع أمره لك وأنت المسئول فيه مع هذا لازم من تعريفهم بالرفق وتطمين الناس وتسهيل (الأمور) في جميع الأحوال يكون إنشاء الله تأكدون عليهم في ذلك يكون معلوم ومن قبل حنا ألفينا مكة بالسلامة (ولأن) لاقينا من فضل الله مكروه ووجدنا أهل الحجاز مستبشرين مطئنين ومقبلين على الخير نرجو الله تعالى يدلنا وياهم على مافيه الخير والصلاح في أمر الدين والدنيا من قبل هالخبيث علي بن الحسين فهو في جدة (وترجا) يبينا نصلحه (نصالحه) وحنا ماقبلنا منه إلا أنه يترك جدة

وإلا فالمسلمين واصلينه بحول الله وقوته ولا كاف المسلمين إلى الآن لكن موجب أنه جاينا مكاتيب من أهل جدة طالبين منها مهلة ومتعهدين أنهم يخرجونه ولا يأخذ معه شيء مما هو راجع إلى الحكومة فإن أخرجوه قبل مضي المدة فالحمد لله وإلا هاليومين تخلص المدة وإذا هم ماأخرجوه فالحمدلله المسلمين قويين بالله ولاعليهم منه ولا من غيره إنشاء الله يخرجونه منها صاغراً بحول الله وقريبا إنشاء الله نبشركم بما يسر نرجو الله يوفقنا وإياكم لما به الخير هذا مالزم تعريفه مع إبلاغ السلام العيال ومن عندنا الإخوان والأولاد يسلمون ودمتم محروسين والسلام».

تاريخ ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ

الختم الملكي

لايبدو أن من طلب المهلة وتعهدوا بإخراج الشريف من جدة دون اللجوء إلى قتال قد نجحوا، أو لعل جهودهم قد أفسدها منشور الشريف الحربي الذي رمته طائراته على معسكر جيش الملك عبدالعزيز في الأبطح ومخيمه الشخصي في الشهداء، وذلك في اليوم الأول من شهر جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ[١]. مهدداً ومنذراً بحرب لا تُبقي ولا تذر. اعتبر الملك عبدالعزيز هذا المنشور – كما يقول الريحاني –: «دعوة للمناجزة»[٢]. فسارع الملك بالتحرك إلى جدة وباشر في شديد الحصار عليها، حيث كتب إلى الشيخ عبدالوهاب برسالة يفصل فيها وقائع الحصار، قال فيها:

(١) أمين الريحاني، ص٣٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٩٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة سلمه الله تعالى وأبقاه.

بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله على الدوام مع السؤال عن أحوالكم لازلتم بخير وسرور أحوالنا من كرم الله جميلة الخط المكرم وصل وما عرفت كان معلوم أخبارنا قبل تاريخه بيوم ٦ شدينا من مكة ونزلنا قريبا من بحرة وروحنا حملة (غير واضح) القصد منها محاصرة جدة والتضييق عليها وقطع الداخل والخارج عنها ومعرفة الدروب والمنافذ وقد ضيق المسلمون الخناق عليها من جميع جهاتها حتى مراوي الماء قطعوهم عنها والعدو ذاله الله ولا أوقف المسلمين عن مهاجمة البلد ودخولها عنوة إلا موجب الأجانب ورعايا الدول خوفاً إن يحصل (عليهم ضرر) من ذلك ورأينا التريث هذه الأيام ونضيق الحصار على البلد فإن سلمت وإلا كان لنا عذر الله وحجة الأجانب وهاليومين إنشاء الله تبين النتيجة وبجيكم العلم الذي يسركم بحول الله وقوته نرجو أن الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ويوفقنا وإياكم للخير هذا ما لزم تعريفه مع إبلاغ السلام العيال ومن عندنا الإخوان والأولاد يسلمون ودمتم محروسين والسلام»

في ١٣ جمادي الثانية سنة ١٣٤٣هـ الختم الملكي

وتدخل حرب الطائرات لأول مرة في سماء الجزيرة العربية، وتفشل أمام شجاعة جيش الإخوان، كتب الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب أبو ملحة سلمه الله تعالى آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم لازلتم بحال خير وسرور أحوالنا بحمد الله جميلة الخط المكرم وصل وما عرفتو كان معلوم ومن طرف أخبارنا من كرم الله جميلة نخشى أن تضيق صدوركم من بطانا في مسئلة جدة أما من بطانا فكله مراعاة لرعاية الأجانب نخاف المسلمون يذبحونهم وإلا من فضل الله وكرمه مقتدرين عليهم بحول الله وقوته والمسلمين ماضيين[1] من جدة مسافتنا عنها مقدار ساعة وأما الخساير والله ما أخبر أن المسلمين خسرو بأحد إلا بغلام الأخ محمد وعبد من عبيدنا وثلاثة من الإخوان المقصود يوم ابينهم ابر بيميني وأيضا المسلمين من فضل الله رزقهم الله غنايم كثيرة وربيع المحرج بوسط المخيم يحرج والبياع يبيع والذي يطارد يطارد وفي سعة ولله الحمد وفي غاية السرور مما أعطاهم الله من النعم وخذلان العدو ومن فضل الكريم تزيد باليومية وحال التاريخ وحنا مركبين عليهم اثني عشر مدفع تخرب في ديرتهم وعن قريب إنشاء الله تعالى يجيكم الخبر السار بحول الله وقوته ومن قبل طياراتهم التي عندهم ثنتين وحده ضربها المدفع وكسر جنحا السار بحول الله وقوته ومن قبل طياراتهم التي عندهم ثنتين وحده ضربها منها وبالله أن أهلها تداركو الديرة ولا عاد خرجت منها والثانية طرحت لها قنبة[2] تبيها تطيح على المسلمين وثارت قنبتها عليها واحترقت وطاحت بين أيدي المسلمين هي

(١) يعني المتقدمين.
(٢) قنبلة.

وأهلها وقتلوا المسلمين أهلها ثلاثة نصارى وأحرقوا الطيارة[1] نرجو الله ينصر دينه ويعلي كلمته ويوفقنا لما به صلاح الإسلام والمسلمين هذا مالزم تعريفه ومن عندنا الإخوان والأولاد يسلمون ودمتم محروسين.

في رجب سنة ١٣٤٣هـ الختم الملكي

الجيش يستولي على نزلة بني مالك والرويس والنزلة اليمانية، ويصد هجوماً حاول الجيش المحاصر أن يخترق به صفوف جيش الإخوان في الجهة الجنوبية من المدينة فيصده الإخوان، ويُحكمون الحصار على المدينة من جميع جهاتها. كتب الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب بتفاصيل الأحداث وهذا نص خطاب الملك.

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة سلمه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن أحوالكم أحوالنا بحمد الله جميلة المسلمين حاصرين العدو في جدة ومضيقين عليه من كل جهة جميع النزلات والقصور الخارجة عن زمرة الديرة تولوها المسلمين نزلة بني مالك والرويس والنزلة اليمانية والقصور التي تليها كلها بيد المسلمين ولله الحمد حاضبين الديرة مسافة نصف ساعة وأقل وحاجرين العدو مايظهر لهم ظاهر

(١) ذكر الريحاني الذي كان في جدة حينذاك بأن الطائرة التي أشار إليها الملك عبدالعزيز في هذه الرسالة كان طاقمها يتكون من طيار روسي يدعى ياكوف وضابط مراقب من اللاذقية وعمر شاكر الذي أقحم نفسه بالطائرة فذهب هؤلاء الثلاثة نتيجة انفجار إحدى قنابلها، الريحاني، ص٤٠٦.

حتى الماء الذي يشربون من الصهاريج قاطعينهم المسلمين عنه ولايعلم الله أخبر ظهر منهم أحد إلا عن قول والله مرة ظهروا من الجهة الجنوبية ومشو عليهم المسلمين المحاصرين للبلد من جنوبيها وكسروهم إلى أن أدخلوهم من حيث خرجو بعد أن ذبحو منهم خلق كثير وبعدها ما زاد منهم أحد (يطلع) ولا أوقف المسلمين عنهم إلا موجب مراعاة لرعاية الأجانب هالذي بلانا الله بهم في جدة موجب معلومكم المسلمين ما بخلون من جهال ونخاف من هجوم عام يحصل على رعايا الأجانب معزة في دمائهم وأموالهم وكنا بالأيام الماضية مركبين بعض المدافع ولا صوبناها على البلد أما الآن فحالا ركبنا عليها اثني عشر مدفع من جميع جهاتها وعازمين إنشاء الله على تصويبها على البلد وإخراجها بحول الله وقوته إن كان أفاد بهم وإلا مشوا المسلمين عليها إنشاء الله تعالى وقريبا تجيكم الأخبار الذي تسركم نسئل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويوفقنا لما به صلاح الإسلام والمسلمين هذا مالزم مع إبلاغ السلام الأولاد ومن عندنا الأولاد يسلمون والسلام»

التاريخ ١٢رجب سنة ١٣٤٣هـ الختم الملكي

اقترب موسم الحج فأصبح التفكير في أمر الحجاج يستحوذ على تفكير جلالة الملك عبدالعزيز أكثر من التفكير في الحرب فاتخذ الإجراءات التالية:

أولاً: توزيع منشور إلى كل المسلمين بأن مكة آمنة، والطريق إليها آمن، والسبل إليها ميسرة، وكتب إلى حاكم عدن الإنجليزي وإلى رئيس جمعية الخلافة في الهند يخبرهما بأن مينائي الليث والقنفذة تحت نفوذه والطريق إليهما آمن، لكل المسلمين وهما مزودان بجميع الوسائل من سنابيك وزوارق وغيرها لاستقبال

الحجاج، وأن جميع وسائط النقل من الميناءين المذكورين إلى مكة متوافرة[١].

ثانياً: تخفيف عدد الجيش المحاصر لمدينة جدة والاكتفاء بالمحاصرة دون التفكير في الهجوم، وقد أمر قادته على جبهة المدينة بقيادة صالح بن عدل وإبراهيم النشمي والأمير سعود بن عبدالعزيز العرافة وخالد بن لؤي ووليد بن شوية على جبهة ينبع والوجه بالمحاصرة فقط[٢].

لعله أراد من هذه الإجراءات تأمين الطرق من ناحية، وإعطاء فرصة لأكبر عدد ممكن من جيشه لأداء فريضة الحج، حيث هم يتحرقون شوقاً لأداء هذه الشعيرة نتيجة حرمانهم منها لمدة خمس سنوات على التوالي. ثم إنه يعرف أن العدو لا يملك القدرة على شن هجوم من جانبه. بالإضافة إلى أن إطالة مدة الحصار ستجبر قادة المدن المحاصرة على التسليم في الوقت المناسب. وفي رسالة من جلالة الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة ما يثبت اهتمام جلالة الملك بقضية الحجاج ومدى سروره بقدوم الطلائع الأولى منهم إلى مينائي رابغ والليث. كما حوت الرسالة أخبار جبهة القتال والحالة السيئة التي يعيشها جيش العدو المحاصر.

نص رسالة جلالته إلى عبدالوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبوملحة سلمه الله تعالى آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن أحوالكم، أحوالنا

(١) حسن إبراهيم الفقيه، القنفذة، مجلة الفيصل، العدد ٥٢، شوال، ١٤٠١هـ.

(٢) الريحاني، ص٤١٣.

من كرم الله جميلة أخبارنا تسركم من كافة الوجوه والخط المكرم وصل وما عرفت كان معلوم مخصوصاً ركود طرفكم ورخاء أسعارها وكثرة أمطارها الحمد لله على ذلك نرجو أن الله يديم نعمه ويرزقنا شكرها عرفت بعد ما تسدون القواعد[1] وتستلفون[2] حاصل الثمرة وتتوجهون إلى القنفذة صار معلوم. ومن قبل أخبارنا العدو ذاله الله وفي أسوأ حال والمسلمين في أتم نعمة وعافية من فضل الله وكرمه ومن قبل مراكب الحجاج لابد عندكم خبر تعيها مشا جملة مراكب كلها قاصدين الحج وهاليومين وصل أولهن إلى رابغ والليث كلهن شاحنة حجاج والدرب ماشي والأمور على أحسن مايرام الله تعالى يديم عافيته على الجميع هذا ما لزم تعريفه وبلغ السلام الأولاد ومن عندنا الإخوان والأولاد يسلمون ودمتم محروسين والسلام».

الختم الملكي

التاريخ ١٢ذي القعدة سنة ١٣٤٣هـ

(١) أي المخصصات السنوية.
(٢) تستقبلون.

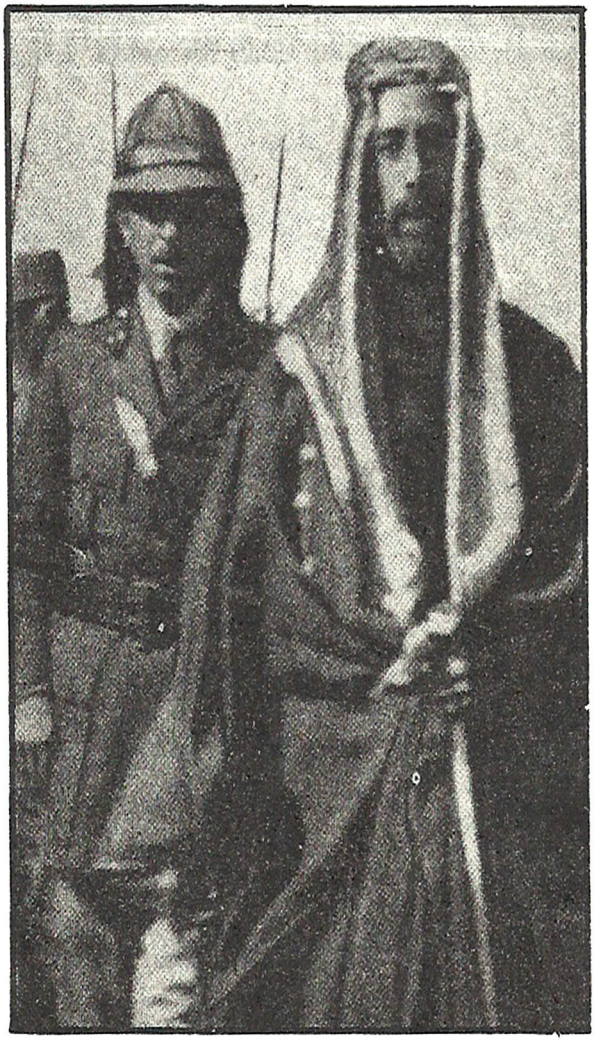

الملك علي بن الحسين
ملك الحجاز

دور عسير في تموين جيش الملك عبدالعزيز ودورها في سقوط جدة والمدينة

جرت العادة أنه إذا ما عزم الملك على غزو مكان ما أو قبيلة ما بعث إلى كل شيخ قبيلة وأمير بلدة يخبرهم بالتهيؤ، ويحدد عدد المحاربين المطلوبين، وإحضار معهم ما يكفيهم من غذاء طوال الفترة المحتملة لتلك الغزوة. وفي أغلب الظروف، لم تتجاوز آماد غزوات الجيش السعودي قبل ضم الحجاز في المتوسط ما بين ثلاثة إلا أربعة أشهر، ولكن قضية الحجاز لم تكن مجرد غزية على غرار الغزوات السابقة، بل تختلف عنها تماماً من حيث ظروفها وأهدافها، والذي يهمنا هنا هو طول أمد هذه الحرب، إذ أوشكت على دخول سنتها الثانية. والسؤال الذي نود أن نطرحه، كيف كان يتم تموين جيش الملك عبدالعزيز؟ دعك عن الظروف الاقتصادية الصعبة التي كان يعيشها أهل مكة بعد أن قطعت عنهم جميع الأرزاق من جدة. وللعودة إلى المصادر بحثاً عن الجواب نجد خيبة أمل كبيرة، إذ إن المعاصرين من المؤرخين اهتموا بتدوين أخبار الحروب والوقائع دونما اهتمام بالقضايا الاقتصادية، وتاريخ الاقتصاد في هذه الفترة لم يعط شيئاً من الاهتمام بل لم يدون بعد. ما عدا إشارة لدى الريحاني في معرض حديثه عن الشكوى التي تقدم بها أهل مكة إلى الملك عبدالعزيز، يشكون فيها من قلة الأرزاق وغلاء أسعارها، وما يعانيه الأهالي من الشدة والضيق، فكان جوابه لهم كما أورده الريحاني «أنه قد اتخذ التدابير لمنع الاحتكار أولا، ولجلب الأقوات عن طريق الليث، وأنه ورجاله وجيوشه لا يكلفونهم من هذا القبيل شيئاً

لأن الأقوات تجيهم من نجد. هي قليلة ولكننا أهل نجد نكتفي بالقليل»[١].

من غير شك أنه كانت تصل إلى الجيش النجدي بعض التموينات من نجد، ولكن لا أخالها كثيرة، لاسيما وتجارة نجد مع الكويت أثناء هذه الفترة شبه منقطعة، وتجارة عقيل مع بلاد الشام تتعرض لهجوم قبائل بني صخر وبين عطية وغيرهما من القبائل الموالية للأمير عبدالله بن الحسين في الأردن، والدور نفسه كانت تقوم به القبائل الموالية للحكومة الهاشمية في بغداد.

إذن والحالة هذه فإنه من المؤكد أن عظمة السلطان اعتمد على المناطق الجنوبية من بلاده في تموين جيشه بالمواد الغذائية، سواء ماينتج محلياً كالحبوب والدهن والقهوة[٢] أو ما يستورد عن طريق موانيها مثل الارز والسكر. وكذلك التمر وهو عنصر رئيسي في غذاء جنوده، فكان يأتي من تربة ورنية وبيشة. وكان هذا التموين يصله تباعاً من قبل الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة، ومدير جمرك ميناء القنفذة محمد أبو هليل. بيد أنهما فيما يبدو قد تأخرا عن إرسال متطلبات الجيش لسبب من الأسباب، فكتب عظمة السلطان إلى الشيخ عبدالوهاب بتاريخ ٨ من صفر ١٣٤٤هـ، يعاتبه على التأخير ويلح في الإسراع ببعث ما يحتاجه الجيش من تموين.

(١) الريحاني، ص٣٧٨.

(٢) كانت القهوة ولاتزال تزرع في بعض المناطق الجبلية في عسير، ولكن ما ينتج منها لايسد حاجة السوق المحلية؛ لذا فقد اعتمد على استيراد القهوة من اليمن، وتعد من أهم أنواع التجارة مع اليمن، وكان سوق الحرجة في بلاد شريف من أشهر مراكز تجارة القهوة وكانت الناس تسميها القهوة الحرجية ما يصدر إلى نجد عن طريق بيشة. وكانت القهوة الحرجية المستوردة من جبال رازح في اليمن، والمشهورة بزراعة أجواد أنواع القهوة تميز عن القهوة المزروعة في أماكن أخرى من اليمن فيطلق عليها تجار القهوة قهوة نمرة واحد، وسعر الكيس ١٠٠ريال. بينما سعر الكيس من أي نوع آخر من القهوة صنف نمرة ٢ يتروح مابين ٨٠-٨٥ ريالاً وذلك عام ١٣٥٨هـ. انظر: رسالة حمد البسام تاجر في جازان إلى وكيله في أبها بتاريخ ٧رجب ١٣٥٨هـ.

نص رسالة الملك:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة سلمه الله تعالى آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن أحوالكم أحوالنا الحمد لله جميلة خطوطك وصلت وما عرفت كان معلوم مخصوصا وصولكم بالسلامة وانتظام شغلكم صار معلوم لكن أنت وبو هليل غفلتوا عنا في إرسال الرز والسكر والدهن وحنا ماكدين عليكم ومحرصينكم جميع على متابعة ذلك ولأن مضى مدة ما جانا شي وهذا غلط منكم لأجل تدرون بخارجنا وإننا ما دبرنا شيء موحب معتمدين على الله ثم مايرد منكم بقا بالحاضر افتكروا للأمر وبادرونا بالإرسال رز وقهوة وسكر ودهن ولا تكاثروا علينا شي الكثير عندنا قليل يكون معلوم هذا مالزم تعريفه بلغ السلام العيال ومنا الإخوان والعيال يسلمون ودمتم محروسين».

الختم الملكي

بتاريخ ٨ص ١٣٤٤هـ

بعد أن فرغ عظمة السلطان من موسم الحج، حيث حقق في نجاح ذلك الموسم الممثل في عودة ثلاثة آلاف حاج من الهند سالمين نجاحاً سياسياً كبيراً تفرغ لمواصلة تشديد الخناق على المدن والموانئ الحجازية المحاصرة عازما على وضع حد لأمد هذا الحصار، وهو اقتحامها بالقوة إن لم تسارع بالاستسلام. واتخذ

للأمر حيطته بأن دعم جيشه في الحجاز بجيوش إضافية أمرها بالتحرك من نجد، واحد بقيادة ابنه فيصل كما سيأتي ذكره، والآخر بقيادة عبدالعزيز بن مساعد يتحرك إلى العقبة للقضاء على تمركز الشريف الحسين بن علي هناك، حيث كان يتخذ منها مركزا لتجنيد المرتزقة من الأردن وفلسطين وبقية بلاد الشام، وبعثهم إلى ابنه علي في جدة[1].

بيد أن بريطانيا كانت تعرف أن وصول قوات ابن سعود إلى العقبة يعني تهديد حكومة عمان؛ فسارعت إلى إقناع الملك عبدالعزيز بواسطة وكيل قنصلها في جدة بالعدول عن فكرة إرسال جيش ابن مساعد، وأنها أي بريطانيا متعهدة بإخراج الحسين من العقبة[2]. ويبدو أن الأمير عبدالله وافق على خروج والده مقابل تعهد بريطانيا بضم العقبة رسمياً إلى إمارة شرق الأردن.

ولدينا رسالة من الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة توضح استئناف الملك لنشاطه الحربي، وما حققته قواته من انتصار على الجبهة الساحلية شمال جدة.

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة سلمه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالك لازلت بحال

(١) الريحاني، ص٤٠٠.

(٢) أمين الريحاني، ص٤١٨، موفق بني المرجه، صورة الرجل المريض أو السلطان عبدالحميد الثاني والخلافة الإسلامية، الكويت، ١٩٨٤م، ص٢٨٩.

الخير أحوالنا بحمد الله جميلة الخط المكرم وصل وماعرفت كان معلوم أحسنت الإفادة عن أخبار طرفكم دامت أخباركم سارة ومن قبل أخبارنا تسركم من فضل الله من كل وجه، العدو من فضل الله ذاله الله ومحاصرينه المسلمين وفي أشد ما يكون من الضعف وقريباً إنشاء الله تعالى تجيكم الأخبار السارة بحول الله وقوته من قبل أخبار الأخ سعود بن عبدالعزيز[١] والذي معه من جنود المسلمين فارسلو لهم سرية مع وليد بن شويه[٢] من كبار الإخوان إلى جهة ينبع ووافقو جيش شاكر[٣] مارح بين الديرة والبحر وأخذوه وذبحو الجند الذي معه ثم ظهر عليهم فزعه من الديرة خيل ورجل فيوم شافوهم المسلمين عقلو جيشهم وعودو عليهم وذبحو فيهم إلى أن دخل السالم منهم باب الدروازة[٤] وذبحو منهم ذبحة جيدة وقلعو منهم خيل منها فرس شاكر تحت واحد من (غلمانه) ثم أقفو المسلمين بزعيمتهم وقلايعهم ما نقصو بشي من فضل الله إلا واحد من أهل الخرمة وفرس ذبحت ثم حالا الفا علينا بشرا من الأخ سعود يذكر أنهم استولو على محل يقال له أم لج[٥] قريب من الوجه فيه رتب سبعين نفر عسكر وحولوهم على رقابهم وأخذو جميع ما في المحل من ذخيرة وسلاح وجبخان ومدفع ومكينتين ورتبو المحل ثم نزلو السوادة من ينبع البحر ساعة ويوم يمشون

(١) هو الأمير سعود بن عبدالعزيز بن سعود بن فيصل بن تركي ويلقب بالكبير، ولد في عام ١٢٩٩هـ، شارك في بناء دولة ابن عمه، توفي في عام ١٣٧٨هـ.

(٢) من رجال الإخوان البارزين.

(٣) لعله الشريف شاكر بن زيد (١٨٨٩-١٩٣٤م) كان من الأشراف البارزين أثناء الحرب السعودية الهاشمية، رحل مع الأمير عبدالله إلى الأردن وأسهم في تأسيس إمارة شرق الأردن.

(٤) البوابة وهي لفظة فارسية.

(٥) وتكتب أملج. وهو ميناء معروف على ساحل البحر الأحمر.

الطروش والتفق تثور منهم على الديرة وقريباً إنشاء الله تعالى يجيكم الخبر المبارك نرجو الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويذل أعاء دينه هذا ما لزم تعريفه مع إبلاغ السلام العيال ومن عندنا الإخوة والأولاد يسلمون»

التاريخ ٣ربيع ١ سنة ١٣٤٤هـ الختم الملكي

زاد تشديد الخناق على ينبع ومحاصرتها براً وبحراً، وهروب بعض حاميتها واستسلامهم للجيش السعودي، وتدعيم القوة المحاصرة بالمدافع والرشاشات، وتحركت الجيوش النجدية في طريقها إلى الحجاز، وهي تتكون من غزو أهل القصيم الحضر، وماحولها من الهجر، وكذلك غزو حائل وما حولها من الهجر بالإضافة إلى غزو أهل نجد الجنوبية وسدير والوشم، كتب جلالة الملك إلى الشيخ عبدالوهاب بهذه التفاصيل في رسالته المؤرخة في ١٩ من ربيع الأول سنة ١٣٤٤هـ قال فيها:

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة سلمه الله تعالى.

بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن أحوالكم لازلتم محروسين بحال خير وسرور أحوالنا من كرم الله جميلة خطوطك وصلت وما عرفت كان معلوم خصوصاً أخبارنا الحمد لله تسركم العدو ذاله الله وحاصرينه المسلمين وكل يوم والنقص فيه وقريب إنشاء الله بنبشركم بما

يسركم من قبل الأخ سعود بن عبدالعزيز أرسلنا له مدافع ورشاشات وبوصولها إليهم حضو الديرة في الليل ورتبو مدافعهم بليلهم ويوم بين الصبح وهم يضربون الديرة ويضربون بابور الشريف وإذا هم مخربينه ما عاد يقدر يروح ولايجي وجميع طراف الديرة تولو عليها وحصروها من كل جهاتها ما أحد يقدر يدور بالأسواق تاكلهم البندق ولا يجيهم أحد لا من البر ولا من البحر حاصرينهم حد النهاية من أقبل بحر أكله المدفع وكلته البندق وأغلب الذي ينبع عتيبة والبقوم ظهر منهم ربع وطاحوا على المسلمين فوق مية رجال ويقولون باقي ربعنا يتبعوننا المقصود ينبع لا تعدونها إنشاء الله إلا تولوها المسلين وكل يوم ننتظر البشارة في سقوطها وقريب إنشاء لله نبشركم بذلك نرجو الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويذل أعداء دينه ومن قبل أخبار نجد الحمد لله صحة ويكون وصلنا طروش من الجبل مثورين مثوار غوزان الجبل الحضر والهجر نتحرا وصولهم هاليومين أيضا وصلا طروش من القصيم لهم اليوم ١٣ من ثور وغزوان أهل القصيم. أيضاً وصلنا خطوط من الرياض من سيدي الوالد والديرة تسركم ويوم يثور الطارش والبيرق ماشي ومواعد جميع غزوان أهل نجد الجنوبية وسدير والوشم على الشعرا بالنصف من شهرنا هذا والجميع هاليومين يتلافون إنشاء الله وإذا تكاملوا إنشاء الله تجيكم الأخبار الذي تسركم نرجو الله تعالى ينصر دينه ويعلي كلمته ويقدر ما فيه الخير للإسلام والمسلمين هذا مالزم تعريفه مع إبلاغ السلام على الإخوان ومن عندنا الإخوان والعيال يسلمون ودمتم محروسين والسلام».

الختم الملكي

١٣٤٤/١/١٩هـ.

في أوائل شهر جمادى الأولى اكتمل قدوم الجيوش التي طلبها عظمة السلطان من بلاد نجد. فزاد بذلك حاجة هذه الجنود إلى التموين، وقد قدر الريحاني جيش الملك عبدالعزيز في الحجاز خلال هذه الفترة بأنه كان يربو على اثني عشر ألف مقاتل[١]. منهم ٢٥٠٠مقاتل من عسير[٢]. كتب جلالته إلى الشيخ عبدالوهاب يطلب في المزيد من التموين، ويطلعه على أخبار الحالة في الحجاز، وبخاصة توجيه ابنه الأمير محمد بن عبدالعزيز على رأس جيش من حاضرة القصيم والجبل، حيث أبدى أهل المدينة فيما يبدو رغبتهم في تسليم مدينتهم إلا أنهم متوحشين من الدويش وجنوده الذين كانوا محاصرين المدينة. فأمر جلالة السلطان الدويش بالرحيل عن المدينة، وترك قيادتها لابنه ومن معه من القيادات الحضرية[٣]. وكانت رسالة جلالة الملك بتاريخ ٣جمادى الأولى ١٣٤٤هـ وهذا نصها.

(١) الريحاني، ص٤٠٤، أما الزركلي فيقدر الجيش السعودي مابين ٥٠٠٠و٦٠٠٠مقاتل. شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، جـ١، ص٣٤٤.

(٢) عبدالله بن مسفر، مصدر سبق ذكره، ص١٣٨.

(٣) وموقف أهل المدينة هذا وتخوفهم من فيصل الدويش ورجاله من الإخوان يذكرنا بموقفهم من جيش بداي بن بديوي في عهد الأمير سعود الكبير، حينما عزم على زيارة المدينة المنورة بعد أن تمكن من فتح مكة فقام بداي بتشديد الحصار على المدينة؛ فكتب أهلها إلى الأمير سعود يطالبونه برفع الحصار عن مدينتهم قائلين:
«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم، صلى الله عليه وسلم، نهدي شرا لشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إلى جناب الشيخ سعود وفقه الله لما يرضيه وسلط (بناوياه) سبل مراضيه وبعد لا يخفاك أنه لما وصل أمير الحاج إبراهيم باشا فطيز أغاس ورأى شيخ بداي محاصر المدينة قطع عنه السبيل فخاطبه في ذلك فأخبر أنه مأمور منك بذلك إنك ما تريد لجوار النبي، صلى الله عليه وسلم، إلا بخير فاستحسنا أن نعرف جنابك فاجتمع حكام البلدة وأعيانها واختاروا من أهل العقل والأمانة أربعة أشخاص فوجهت إليك محمد طيار والجاوش حسن قلعي وعبدالقادر الياس وعلي الصويغ ونرجو الله أنهم لا يرجعون إلا بما يسرنا من جوابك –إن شاء تعالى–». انظر: أيوب صبري، تاريخ وهابيان، استانبول، ١٢٩٦هـ، ص ص ١٣٠-١٣١.

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة سلمه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالك لازلت بحال الخير أحوالنا بحمد الله جميلة الخطوط المكرمة وصلت وما عرفت كان معلوم ومرسولكم مع رجالكم عبدالله بن جابر جهاد قبائل القنفذة وصل حسبما عرفتم ولا بدكم إنشاء الله وصلتم إلى بني شهر وصار قبض جهادهم وإرساله إلينا والتعريف منكم قادم بذلك إنشاء الله تعالى من قبل أخبارنا الحمدلله تسركم الابن محمد جهزناه إلى المدينة معه جند أهل القصيم وأهل الجبل موجب أهل المدينة كأنهم متوحشين من وجود الدويش عندهم، وأمرنا عليه يشد عنهم وروحنا الابن محمد والمذكورين معه توجهو ونتحرا لأخبارهم السارة إنشاء الله كذلك جرود أهل نجد أولهم وصلونا قلوطهم مع الابن فيصل ياصلون بكرة إنشاء الله تعالى وآخرهم على الساقة نرجو الله أن يجعل قدومهم مقرونا بالتوفيق ومن قبل أنتم إنشاء الله تواصلون لنا الإرسال ولا كاثرون علينا شي موجب هالجنود الذي عندنا يبون وإنشاء الله تحرص غاية الحرص في كثرة الإرسال مما ذكرنا لك بارك الله فيك ولا بعدك حسوفة في جميع الأمور نرجو الله يوفقنا وإياك لما فيه الخير هذا مالزم تعريفه مع إبلاغ السلام من لديك ومن عندنا العيال يسلمون والسلام».

التاريخ ٣ج١ سنة ١٣٤٤هـ الختم الملكي

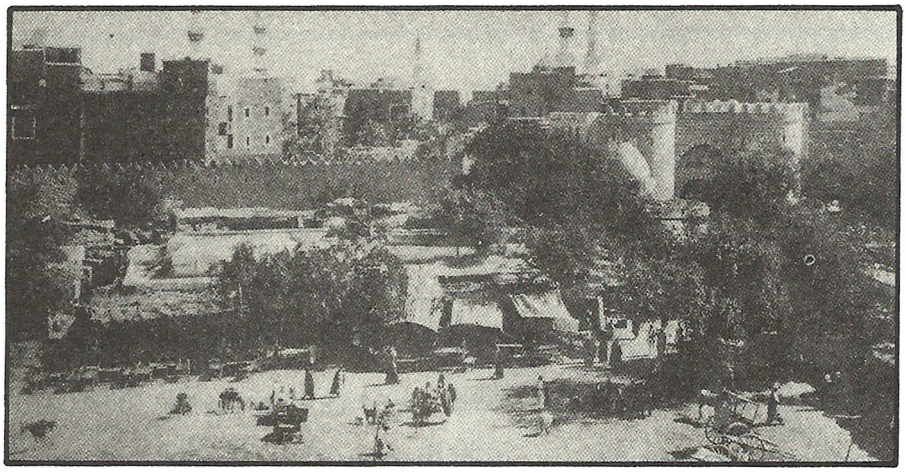

هذه الصورة من كتاب صور من الماضي ـ بدر الحاج

الأمير محمد عبدالعزيز الذي أوكل إليه والده الاستيلاء على المدينة المنورة عام ١٣٤٤هـ
وإلى يساره الشيخ يوسف ياسين

رسالة أخرى من الملك إلى عبدالوهاب لم يظهر فيها تاريخ اليوم والشهر، ولكن يبدو أنها بعد الرسالة الأولى مباشرة، وهي تحتوي على أخبار حصار مدينة جدة؛ والحالة السيئة التي وصلت إليها.

نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة سلمه الله تعالى آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالك لازلتم في أحسن حال أحوالنا من كرم الله جميلة خطك وصل وما عرفت كان معلوم أحسنت الإفادة لازلت تفيد بما يسر ومن قبل أخبارنا الحمد لله تسركم العدو ذاله الله من فضل الله وفي أشد ما يكون من الضعف جميع الذي عنده راحو آخرهم قدر خمسين نفر مشو منه مدة أسبوعين ولابقي عنده إلا سقط ناس عاثرهم الله بالمرض وإنشاء الله بيذلهم الله ويذهبهم الله عن آخرهم بحول الله وقوته ومن قبل الأخ سعود بن عبدالعزيز فهو محاصر ينبع ومضيق عليها ونتحرا كل يوم خبر سقوطها إنشاء الله تعالى ومن قبل المدينة كأن أهلها توحشو من الدويش بوجوده عندهم وأمرنا عليه يشد عنهم وشد وجهزنا الابن محمد بن عبدالعزيز ومعه من المسلمين الذي فيهم إنشاء الله بركة وتوجهو إلى المدينة ومتحرين البشارة منه بدخولها إنشاء الله تعالى نرجو أن الله ينصر دينه ويعلي كلمته (غير واضحة) ويقدر مافيه الخير للإسلام والمسلمين.

أخبار الحيا من جانا من كل الجهات من نجد وغيرها يذكر السيل الله تعالى

يوزعنا وإياكم شكر نعمه ويجعله الله نازل بالبركة هذا وبلغ السلام إلى الأولاد ومنا الإخوان والعيال يسلمون ودمتم محروسين والسلام.

ومن طرف الإبن فيصل حال التاريخ وصل ومعه غزو من أهل نجد وباقيهم على أثره نرجو الله تعالى يجعل قدومهم مقرون بالتوفيق وإن الله يوفق الجميع لما به الخير والسلام»

التاريخ ١٣٤٤هـ الختم الملكي

سقوط المدينة واستسلام جدة

سقطت المدينة في يوم ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ على يد الأمير محمد بن عبدالعزيز بدون حرب وتلا سقوطها سقوط العلا والوجه وتبوك وغيرها من المناطق المجاورة بدون حرب. أما جدة فقد استسلمت صلحاً بعد أن لب الملك علي من المعتمد البريطاني في جدة التوسط لدى ابن سعود بالصلح فطلب المعتمد مقابلة السلطان، وتم بواسطته إبرام وثيقة الصلح، أو بالأحرى وثيقة إجلاء آخر حاكم هاشمي يحكم الحجاز، وذلك بتاريخ الأول من شهر جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ، أما جلاء الملك علي بن الحسين فكان في اليوم السادس من الشهر نفسه؛ ودخول جلالة الملك عبدالعزيز لمدينة جدة في اليوم الثامن من الشهر نفسه وبذلك طويت صفحة الصراع السعودي الهاشمي في الجزيرة العربية والذي دام قرابة قرنين من الزمان. أما تفصيل الصلح وسقوط المدينتين المقدستين في أيدي الملك عبدالعزيز فأتركهما للرسالة التي بعث بها جلالته إلى الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة يبشره فيها بالفتح، وذلك بتاريخ ٩ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ. قال فيها مانصه:

الملك علي بن الحسين ملك الحجاز

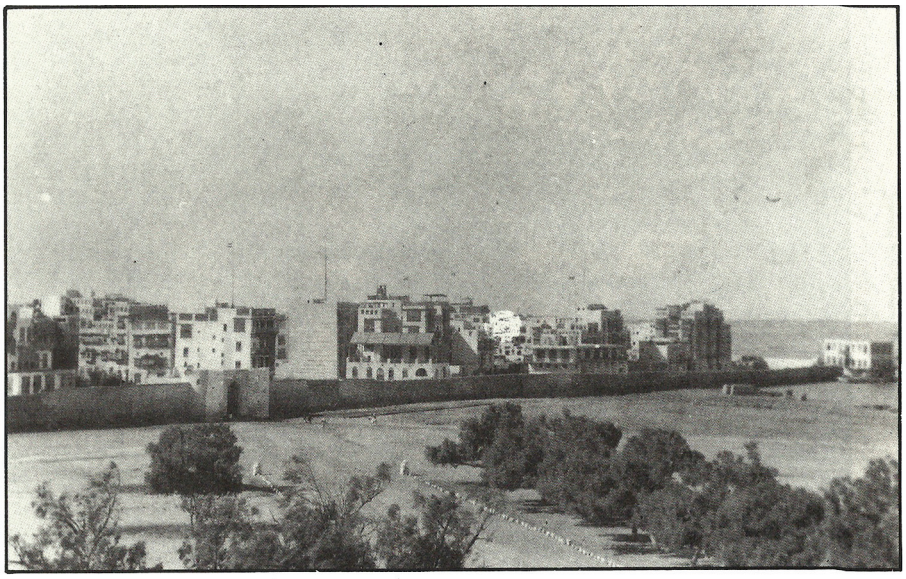

مدينة جدة عام ١٩١٨م

الملك عبدالعزيز في شبابه

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ المكرم الأفخم عبدالوهاب بن محمد أبو ملحة سلمه الله تعالى آمين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن أحوالكم لازلتم بخير وسرور أحوالنا من كرم الله جميلة من قبل أخبارنا الحمدلله تسركم نعرفكم بما منَّ الله به على المسلمين في ١٩ جماد أول فتح الله المدينة على يد الابن محمد وبعدما فتحها الله ذهبت قوة الشريف وأتباعه وصار معهم رهب وطاحت العلا والوجه وتبوك والحجر على الابن محمد وأمنهم وقبض جميع المهمات والقوات التي عندهم ولقد صار بيننا وبين بعض القواد الذي في جدة بعض المخابرة وعزمنا على الهجوم على جدة وفي أثناء هذا خرجنا إلى الموقع الذي فيه مخيم الأخ عبدالله والابن فيصل ووافقنا مندوب المعتمد لحكومة بريطانيا في جدة وعرفنا الحالة حرجة ويخشى من فتنة تصير على رعاياهم ورعايا الدول الأجنبية وبموجب ذلك أحبينا عرض وساطتنا عليكم دفعاً للمحذور المذكور وذلك لايمس شرفكم ونتعهد لكم بجميع الموجودات والمهمات الحربية تسلم فقط إذا تفضلون في إصدار عفو عام على جميع المجرمين الموجودين في جدة وتسمحون لعلي في ترك ما يخصه له التي ليس للحكومة شيء منها. ولاتعلق بها ولما رأينا ذلك موجب محبتنا للسلم وعدم سفك الدماء وما هو حال أهل جدة من الضعف والضيق وخوفاً من حدوث فتنة يحصل منها مضرة على الرعايا الأجانب لهذا أجبناهم على ذلك وحال التاريخ سلمت جدة وينبع وقبضنا جميع المهمات التي فيها من أسلحة ومدافع ورشاشات وطيارات ودبابات ومراكب بحرية وجميع الذخائر والأمور العايدة للحكومة وسافر علي من جدة والعساكر تفرق كل لمحله

والبلاد والحمد لله جرت فيها العدالة والأمنية والاطمئنان والحقيقة أن المدينة وجدة وينبع يرثى لهن مما جرا فيهن من الظلم والضنك فلكن الله سبحانه ما يخشى الفوت والظالم من ظلم نفسه وأساء إلى عباد الله نرجو أن الله ينصر دينه ويعلي كلمته ويأخذ بنواصينا عن موجبات غضبه ولايكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ويوزعنا شكر نعمه هذا مالزم تعريفه ودمتم محروسين والسلام».

في ٩ج٢ سنة ١٣٤٤هـ

الختم الملكي

وطلب بشارتكم منا محمد بن دحيم ومطلق بن سند.